www.nidaulhind.com

أسباب انتشار الدعوة الإسلامية في الهند

بقلم : الأستاذ ذاكر الأعظمي
(الرياض – المملكة العربية السعودية)

كان للثقافة الإسلامية تأثير كبير في بلاد الهند في عصورها المختلفة ، وطغى تأثيرها على الثقافات التي وفدت على الهند مع الساميين والآريين ، على أن المساواة في العبادات كالصلاة والصيام ، والنشاط اليومي للحياة ، والمساواة في اللون والمولد والعمل ، وعبادة الله الواحد الأحد ، كل هذا لعب دورا رئيسيا في تأثير الثقافة الإسلامية على الهنود ، وكذلك حرر الإسلام الإنسان الهندي من المعتقدات الخرافية ، وسيطرة الكهنة ، لم يتقبل المسلمون الفاتحون نظام الفوارق بين الطبقات الذي ساد بلاد الهند ، وهذا دفع الكثير من الهندوس إلى دراسة حقيقة الفكر الإسلامي ، واعتناقه للحصول على المساواة .

و ظهرت محاولات كثيرة من كبار المفكرين الهنود لإيجاد تقارب بين الفكر الإسلامي ؛ والفكر الهندوسي ، ورأوا أن المسلمين أحدثوا تغييرا ثقافيا ؛ واجتماعيا ؛ واقتصاديا في بلادهم ، وألغوا امتيازاتهم الموروثة ، واعتبروا المسلمين دخلاء مستعمرين لبلادهم ، ولكن فكرة المساواة بين المسلمين وغير المسلمين التي حملها العرب لعب دورا قياديا في إقبال الهنود على اعتناق الإسلام ، وخاصة تأثرت بهذه الفكرة الطبقات المنبوذة (شودر) من الهنود بشكل أكبر حيث إنهم كانوا يعانون من التمييز الطبقي في الدين الهندوسي بشكل أسوأ ، وليس لهم أي حق ؛ حتى في أداء المراسيم الدينية في المعابد الخاصة بالطبقة العليا ؛ مثل : البراهمة .

قويت إمبراطورية المغول في الهند في عهد أورنغزيب عالمكير ؛ الذي قبض بيد من حديد على شئون البلاد ؛ وقضى على كل عناصر الفتنة ،

www.nidaulhind.com

ولكن تدهورت بعد وفاته ؛ و ولي الإمبراطورية أباطرة ضعاف لم يتمكنوا من دحر أعداء الدولة في الداخل والخارج ؛ وكنتيجة لذلك سنح للإنجليز الغاشمين السيطرة على أقاليم الهند ، وسقطت كل إمارات الهند في أيدي الإنجليز سنة ١٨٥٧م تماما .

لقد حكم المسلمون الهند قرونا وأجيالا ؛ ثم جاء الإنجليز فسادوا البلاد لفترة تمتد أكثر من قرن ، عم فيها الظلم والعدوان ؛ وشاعت الخمور والعصيان ، لما اشتد تغشم الإنجليز على مواطني الهند ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؛ خرج الشعب الهندي – بما كان فيهم المسلمون ؛ وغير المسلمين – على الحكم الإنجليزي ، وأجمعوا على تطهير أرض الهند من وجودهم النجس ؛ فشمروا عن ساق الجد ليحاربوا ضد القوة الاستعمارية ، وفازوا في هذه المعركة بعد ما استمرت مقاومتهم لعدة عقود من الزمن ، وأدت إلى كثير من التضحيات من الأموال والأنفس ، وكنتيجة للكفاح البطولية الطويل من قبل الشعب الهندي اضطر الانجليز إلى الانسحاب من الهند ، ونال البلد الحرية في معنى الكلمة – حرية الفكر والتعبير ؛ حرية التجول والسياحة ؛ حرية التنفس والعيش ؛ حرية العمل والتعليم ؛ حرية العبادة والتبليغ – فتم تشكيل دستور شعبي يمثل كل شعب من شعوب الهند ، ويحترم كافة الأديان والفرق والملل ، ولا يفرق بين طبقة وطبقة ؛ وبين فرد وفرد على أساس المعتقدات والتقاليد التي يتمسكون بها ويمارسونها ، ومن هنا ، لما أقبلت جماعة من غير المسلمين على الإسلام ، يفهم بعض الطبقة التي لا معرفة لها بالحقيقة ، والواقع أنه محاولة قوم حاكم سابق على إعادة حكمه واستيلائه ، وباتوا يتهمون بأن المسلمين يستخدمون جميع ما يملكونه من الأجهزة والوسائل لإثارة الخلافات المذهبية ؛ والنزاعات الطائفية التي تنشأ في أذهان غير المسلمين ، وخاصة الهندوسيين ؛ ويحرضونهم على تغيير دياناتهم ؛ ويرغبونهم في ذلك بالأموال والوظائف

نداء الهند

www.nidaulhind.com

والرفاهية ؛ لكي يظل المسلمون يتمثلون الأغلبية المطلوبة التي تمنحهم الفرصة للحصول على الحكم والسلطة عن طريق الدعوة .

إن الهند بلد ديموقراطي و الدستور الذي ينطبق فيها يمنح أبنائها حق التدين بما شاءوا من الأديان ؛ وممارسة تقاليدها ؛ وأداء مراسيمها بحرية تامة ؛ كما أنهم يتمتعون بحرية التبليغ والدعوة إلى ما يؤمنون به من العقائد والتصورات والأفكار ، فينتهز مسلمو الهند هذه الفرصة العظيمة لعرض الإسلام ، الذي يقول الله ﷻ عنه في كتابه المجيد : ﴿ إن الدين عندَ الله الإسلام ﴾ على الأخوة المواطنين من غير المسلمين ، وخاصة الهنادك ؛ فيقدمون عليهم رسالة الإسلام الخالدة ؛ وتعاليمه الصادقة التي تصلح لكل جيل ؛ ولكل عصر .

حيث إن عمل الدعوة واجب على كل مسلم بسبب كونهم خير أمة أخرجت للناس ، وكذلك الأقدار الخلقية ؛ والقيم الإنسانية تتطلب منهم تبليغ أصول الإسلام ؛ ومبادئه السامية إلى الإخوة المواطنين ، ومن هنا عندما تلبي الطبقة الباحثة عن الحق والهدى والنجاة من غير المسلمين بالدعوة التي يدعو إليها المسلمون ، وينجذبون إلى الإسلام متأثرين بسمو تعاليمه ونبل أخلاقه ؛ يبدأ بعض العناصر الحاقدة على الإسلام تعرب عن قلقها الشديد ، وخوفها البالغ تجاه الإسلام والمسلمين ، وانتشار دعوته وامتداد نفوذه في مشارق الهند ومغاربها .

ليست هذه الفكرة إلا نتيجة سوء التفاهم ، وبتعبير أصح هي محاولة إيجاد سوء التفاهم الذي لابد من إزالته ؛ والقضاء عليه .

لم يعد خافياً على كل من يتابع الجرائد والصحف ؛ ومن له إلمام بتاريخ الهند أن مسلمي الهند يعيشون حياة أقلية ، ويعانون من فقر وبؤس ؛ كما أنهم متخلفون في مجال التعليم والثقافة والاقتصاد ، فما هي العوامل التي تجذب غير المسلمين إلى المبادرة بالدخول في الإسلام ؟ وما هي المطامع

www.nidaulhind.com

التي ترتبط بهم ؟

المسلمون في الهند يواجهون العنصرية الدينية ، ولا نصيب لهم في الوظائف الحكومية ، ولا يتمكنون من الحصول على القروض من البنوك إلا بجهد متعب وصعوبة شاقة ، كما أن الشرطة تفرض عليهم اتهامات كاذبة ظلماً عليهم ، ومع ذلك هم يخسرون نفوسهم وأموالهم ، وتهتك أعراض بناتهم وأمهاتهم ، وتحرق بيوتهم ومحلاتهم في الاضطرابات الطائفية التي تحدث بين حين وآخر .

وأما من الناحية الاقتصادية ؛ فهم أيضاً مفلسون في هذا المجال ؛ كما نشاهد حينما نقوم بزيارة منطقة يعيشون فيها المسلمون ؛ فبيوتهم الضيقة ؛ وشوارعهم القذرة ؛ ومستوى حياتهم العسيرة تقدم أسوأ مظاهر التخلف والانحطاط .

وفي جانب آخر ؛ تأثر مسلمو الهند بالثقافة والحضارة التي يعيشها غير المسلمين لحد كبير ، وكما استوعبوا منهم التقاليد والمراسيم غير الإسلامية التي لا تميل إلى الإسلام ميلاً ، وذلك أمر طبيعي ؛ لأنهم يعيشون مع أبناء البلد منذ زمن طويل ، وعلى سبيل المثال أن تصور الطائفية قد دخل في المجتمع الإسلامي ؛ والمسلون لا يقدمون ما يتوقع منهم من أمثال المساواة الإنسانية ، والأقدار والقيم التي تظهر فيها أصدق الصورة ، وأرقى مظاهر لدينهم ؛ وأجلى صور لسماحة الإسلام ؛ وعدالته الشاملة ، بالإضافة إلى ذلك تسللت إليهم العقائد الشركية ؛ والمعتقدات الجاهلية ، فاختلط الحابل بالنابل ؛ حتى غابت عنهم أبرز السمات والمزايا الإسلامية التي كان يمتاز بها أسلافهم الأولون في وقت ما .

و أما من الناحية الاجتماعية فهم متفككون منتشرون وللجهل دولة وصولة في المجتمع الإسلامي ، ولا يوجد هناك من يقوم بعمل الدعوة إلا عدد قليل من المؤسسات والأفراد الذين يتولون هذه المسئولية ، وهم

www.nidaulhind.com

يعوزون إلى الأموال والوسائل و الطاقات البشرية ، يتهم أعداء الإسلام بأن الجماعات الإسلامية في الهند تقوم بتمويلها الدول الإسلامية مع أن الحقائق تخالف ذلك ، وبالعكس فإن هناك منظمات هندوسية يتبرع لها أثرياؤهم بأكبر مقدار من المال ؛ حيث خصص أحد المنظمات الهندوسية ٣/مليارات روبية لممارسة أنشطتها العدائية ضد الإسلام والمسلمين ، هل يمكن للجماعات الإسلامية قاطبة الحصول على هذا المبلغ الهائل من النقود ؟

ومع هذا كله ، هم يتهمون المسلمين بأنهم كانوا قد حكموا البلاد قرونا ، وكان ملوكهم يظلمون أبناءهم ، ويجبرونهم على قبول الإسلام ، و الآن الجماعات الإسلامية بدأت تحاول إعادة حكمهم على الهند عن طريق الدعوة والتبليغ .

إنهم يتحيرون ويتعجبون ؛ كيف يتظاهر الإسلام بجاذبيته الخلابة على الرغم من أنه يعاني من قلة الأفراد ؛ والنقص المادي ، و تخلى أتباعه عن تعاليم الإسلام ، لماذا يزداد عدد الرجال والنساء الذين يعتنقون بالإسلام يوما فيوما ؟

نداء الهند

ولنفكر ما هي الأسباب :

إن أعداء الإسلام ؛ يقولون أقاويل في تعليل هذا الوضع ، ولكن عندما ننظر إليها بنظرة العدل والإنصاف يتضح لنا أن أيا منها ليس صحيحا .

بعضهم يقول : لا يعتنق الإسلام إلا الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع المتخلف من الهندوسيين الذين يعانون أنواعا من الإيذاء والتعذيب ؛ وأصنافا من الظلم والعدوان من الطبقة العليا ، فهم يدخلون في الإسلام ؛ لكي يتخلصوا من مظالمهم باحثين عن حصن جديد ليأووا إليه ، فلو قمنا بإزالة ما يشتكون منه لا يمكن أن يبادروا إلى الإسلام .

لا يصح ادعاؤهم هذا ؛ لأن هناك عددا كبيرا أيضا من الطبقة

www.nidaulhind.com

العليا تدخل في الإسلام ؛ نظراً لصدق تعاليمه ؛ وجلاء عقائده ؛ ونظام عدله الشامل ، أما سبب زيادة عدد الأفراد الذين يدخلون في الإسلام من الطبقة المتخلفة ، فهو طبيعي ؛ لأنهم هم يتمثلون الأغلبية بالنسبة للطبقة العليا ، ومن أهم النقاط في هذا الصدد أنهم لماذا يحرصون على الإسلام فقط مع أن هناك العديد من الأديان والمذاهب في العالم ، ولو كان سبب دخولهم في الإسلام ؛ هو التخلص من مظالم الطبقة العليا ، فليس صحيحاً ؛ لأن البوذية أيضاً دين ؛ محور دعوته هو العدل والمساواة الإنسانية ، فلماذا هم لا يدخلون فيها ، وهي أحمى قلعة لهم في المجتمع الهندي من الإسلام ، وتحميهم من مواجهة المشاكل والصعوبات التي يعانون منها من قبل الطبقة العليا بعد دخولهم في الإسلام .

والآخر يقول : إنهم يدخلون في الإسلام ؛ لكي يحصلوا على الأموال والنقود ؛ فيحسنوا وضعهم الاقتصادي مع أن الواقع يشهد خلاف ذلك حيث إن من يعتنق بالإسلام لا يمطر عليه أمطار من الدولارات والريالات ، ويكفي على ذلك دليلاً انطباعات من يلتقون بالمسلمين الجدد من غير المسلمين ؛ لكي يتعرفوا على أحوالهم و أوضاعهم في حياتهم الجديدة ، يدهشون ويتحيرون حينما تكتشف عليهم حقيقتهم .

وبعضهم يقول : إنهم يعتنقون الإسلام ؛ لكي يحصلوا على الوظائف في الدول العربية الإسلامية مع أنهم ليس لديهم شواهد بذلك ، كم من المسلمين الجدد حصلوا على الوظائف في الدول العربية ؟ ولو كان منح فرص الوظائف عاملاً من العوامل التي نجح به الإسلام في تغيير الديانات لكان المسلمون في الهند غيروا دينهم من أجل ذلك ، وتمتعوا بالمزايا والخصائص التي يتمتع بها المجتمع الهندوسي .

وجماعة تقول : إنهم يسلمون ؛ لكي يتمكنوا من التمتع بتعدد الأزواج وفقاً للأحوال الشخصية للمسلمين مع أن الإحصاءات التي

www.nidaulhind.com

أصدرتها الحكومة الهندية في عام ١٩٩٣م يثبت أن نسبة غير المسلمين الذين زوجوا ثانية أكثر من المسلمين فكان نسبة غير المسلمين ٥,٦% مع أن نسبة المسلمين كانت أقل منهم ؛ وهي ٤,٣١% .

* الأسباب الحقيقية لانتشار الإسلام في الهند :

انتشر الإسلام في الهند منذ حملة محمد بن القاسم الثقفي على أطراف الهند الشمالية سنة ٩٢هـ (٧١١م) ، وقام الحكم بن عوانة الوالي العباسي على الهند الإسلامية بالمحافظة على أراضي المسلمين في الهند ، وأسس فيها مدينتي المحفوظة والمنصورة على أن انتشار الإسلام ازداد بشكل كبير منذ فتوحات السلطان محمود الغزنوي .

ازداد انتشار الإسلام في الهند بسبب تشجيع بعض سلاطين دلهي ، ومن هؤلاء السلاطين ، السلطان فيروز شاه (٧٥٢-٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨م) إذ أعلن إعفاء كل من يدخل في الإسلام من ضريبة الجزية ، ولا يبقي عليه إلا الضرائب الشرعية فقط .

ومن أسباب انتشار الإسلام في الهند ما قام به شاه رُخ الشيرازي سنة ١٤٤١م بنشر الإسلام في قاليوط ، هذا بجانب ما تميزت به البعوث الإسلامية التي اشتهر رجالها بالتقوى والورع وعمل الخير ؛ من أثر في هداية الناس إلى الإسلام .

وكذلك أيضاً من أسباب انتشار الإسلام في الهند إيمان الكثير من الهنود بوحدة الوجود ، وهي نظرية غامضة مبهمة ؛ تقول بأن الإنسان يتدرج في مراتب الإيمان ؛ حتى يقترب من الله ؛ ثم تصفو روحه صفاءً كاملاً ؛ فيتحد الله .

ومن أهم أسباب انتشار الإسلام في الهند ، إنشاء المدن الإسلامية العديدة فيها أو إضفاء الطابع الإسلامي على المدن التي سيطر عليها المسلمون ؛ مثل : دلهي ؛ وآغرا ؛ وأحمدآباد ؛ وحيدرآباد ؛ وإسلام آباد ؛

www.nidaulhind.com

ودولت آباد ، وأتاحت هذه المدن الفرصة أمام الهندوس للاطلاع على الحياة الإسلامية من خلال إقامتهم فيها أو توافدهم عليها للتجارة أو لأي شأن آخر .

وبخلاف ما يرى الهندوس المتعصبون الحاقدون ، فإن الحقيقة التي أجلى كوضوح الشمس في منتصف نهارها ، ويتجاهلونها هي أن الإسلام دين يحمل جاذبية بالغة في ذاته يسخر بها قلوب عباد الله الذين يتدبرون في كون الله وخلقه ، ومن الممكن أن يمنع الناس من مصادر الإسلام بتشويه صورته ؛ وإساءة دعوته ، ولكن ليس من الممكن أن من يتعرف على الإسلام في معنى الكلمة لا يحبه ولا يدنو إليه ، لقد أثبت الإسلام جاذبيته وقوة تأثيره في كل زمان ومكان ، وليس ذلك مقصوراً على الهند فحسب ، ولعل سر امتداد الإسلام على وجه الأرض في ١٤٠٠/سنة ؛ هو صدقه وقوة تأثيره في الأذهان ، لقد قام الإسلام بإزالة ما بث أعداء الإسلام من الأخطاء ؛ وسوء التفاهم عن الإسلام ، وحاول فشل مؤامراتهم وكيدهم ؛ فبذلك دأب مكانة بارزة في قلوب الناس ؛ حيث إن هناك ٥٤/دولة توجد للمسلمين في العالم ، ويتجاوز عدد المسلمين ١,٣/بليون نسمة .

** **

المراجع :

(١) "المسلمون في الهند" لسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، ط/المجمع الإسلامي ، ندوة العلماء – الهند عام ١٩٨٧م .

(٢) "بلاد الهند في العصر الإسلامي – منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم" ؛ تأليف الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف ، ط/دار الفكر العربي – القاهرة عام ١٤٢٣هـ .

(٣) جريدة "دعوت" الأردية تصدر من مركز الجماعة الإسلامية بنيودهي – الهند ، إصدار ١٥/نوفمبر ١٩٩٦م .